ثنائية الأنا والآخر

في سيرة الأمير حمزة البهلوان

إعداد

هيام هاشم عبد التواب

مدرس مساعد – قسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة بني سويف

الملخص:

تناولت هذه الدراسة إشكالية الأنا والآخر أحد القضايا التي تناولتها العديد من نصوص الأدب الرسمي والشعبي سواء العربية أو الغربية، فهي قضية لازمة وملزمة فالأديب يعبر بذاته للآخر المتلقي فهي قضية ملاصقة للفنون عموما، ومن بين هذه النصوص الشعبية سيرة الأمير حمزة العرب الذي جسد فيها قضية الأنا والآخر بشكل واضح، ولم تخرج سيرة حمزة العرب عن هذا السياق المتعلق بالصراع مع الآخر. والذي يبدع من خلالها في تصوير أعماق الآخر النفسية المتمثلة في الملك كسرى وأعوانه من بداية المنام الذي رآه كسرى وتكرر في نومه إلى باقي الأحداث والمعارك والحروب التي دارت ما بين العرب والفرس في استعادة هوية الأنا ورفعة الذات العربية في مقابل الآخر الغربي الفارسي.

Abstract:

This study dealt with the issue of the ego and the other, one of the issues addressed by many texts of official and folk literature, whether Arabic or Western. As, it is a necessary and binding issue. The writer expresses himself to the other, recipient. Moreover, it is an issue related to the arts in general. Among these folk texts is the Epic of Prince Hamzat Al-Arab, in which he embodied the issue of the ego and the other clearly. In addition, Epic of Hamzat Al-Arab did not deviate from this context related to the conflict with the other. Through that, he excels in imaging the psychological deep emotions of the "other" represented by King Khosrow and his escort, from the beginning of the dream that Khosrow saw and repeated in his sleep to the rest of the events, battles and wars that took place between the Arabs and Persians in restoring and elevating the Arab self "the ego" against Western Persian "the other".

مقدمة:

ثنائية الأنا والآخر ثنائية ارتكازية في السيرة الشعبية عموما، يبنى مفهوم الأنا على التبعية والهيمنة، ويمثل الأنا الذات العربية والإفريقية مقابل الآخر المستبد الذي يفرض مقولة مفادها أنه لا وجود للأنا دون الآخر كمفهوم استراتيجي، وهنا يتحدد موقع الآخر ودلالته ووظيفته، ويرتبط مفهوم الأنا بمفهوم الهوية وعلاقته بثنائية الشرق والغرب، ولذلك صورت السيرة الأنا كمفهوم يرتبط بصورة الآخر الحضاري، باعتبار أن: "صورتنا عن ذاتنا لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر، كما أن صورة الآخر تعكس بمعنى ما صورة الذات"[1].

ولم يرتبط الأنا بالآخر إلا من خلال اعتراف الأنا بأهمية الآخر، إذ لا تعرف الأنا بمعزل عن هذا الآخر فهو يدخل عنصرا مقوما في صميم وجود الأنا، وماهيتها والأنا بذلك لا تكون إلا من خلال توقفها على الآخر، واستقلالها عنه في وقت واحد، مثل قول الأمير إبراهيم لابنه الأمير حمزة العرب عن الفرس ومكانتهم "إنك بالأحرى لا تعلم ما هو كسرى أنو شروان أو تظنه من بعض رؤساء القبائل الذين تقصدهم وتقاتلهم وتسلب منهم أموالهم وليس عندهم من الرجال إلا خمسمائة أو ألف رجل على الأكثر فعي إلى نفسك واعلم أن الملك كسرى أكبر ملوك هذا الزمان يملك ما لا يملكه غير الله سبحانه وتعالى ومن المقرر أن عدد عساكره لا ينقص عن الكرات والملايين فمن نحن ومن منا يذكر لدى ذكر الملك كسرى فالتبصر بالعواقب أفضل لنا"[2] وهنا يعترف الأنا المتمثل في الأمير إبراهيم وقوله لابنه الأمير حمزة بقوة وبطولة الآخر وهو الملك كسرى أنو شروان، حتى في سيرة عنترة يعترف عنترة بقوة وبطولة الفارس الذي ينازله.

ويعرف عبد الرحمن بدوي[3] الآخر من خلال الإقرار بوجود أنا مختلفة ومناقضة للآخر الذي يكون هويته بمعزل عن الآخر فيقول: «الآخر صفة كل ما هو غير أنا، وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا، وارتبط الآخر في بعده المفاهيمي بذلك الطرف المهيمن والمستبد؛ وهو الآخر الأوربي المستعمر بكسر الميم، أي بالحضارة الأوربية الغربية الذي نفهم دلالته

---

(1) - صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه، طارق لبيب وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م، ص 812.

(2) - السيرة: الجزء الأول، ص21.

(3) - عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مادة آخر، المؤسسة العربية، مصر، ج1، ط1، 1981م، ص7.

من السياق، ويمكن أن يتحدد هذا الآخر: باعتباره البعد السياسي أو الجغرافي، أو الاقتصادي، وهو قد يكون أوربا أو الدولة المتقدمة عموما، أو الآخر المختلف دينيا، أو حضاريا، أو هو كل هذا معا، فالخلط شائع ولم يقع تحديد الحقول الدلالية بهذا المصطلح، و إنما وقع التعامل مع الغرب باعتباره مسلمة لا تثير السؤال، وهو عادة نقيض العرب ومقابل له"[1]

تعتبر إشكالية الأنا والآخر أحد القضايا التي تناولتها العديد من نصوص الأدب الرسمي والشعبي سواء العربية أو الغربية، فهي قضية لازمة وملزمة فالأديب يعبر بذاته للآخر المتلقي فهي قضية ملاصقة للفنون عموما، فكانت من إحدى المسائل التي جسدت الصراع والصدام القائم بين الغرب والشرق وهي بارزة في أعمال الكثير من الروائيين، فهناك من بين لنا بشاعة وهمجية ودناءة وغدر الآخر/الغربي، لأن الأنا العربية عانت القهر، والقمع والاضطهاد، الذي مورس عليها من طرفه، فنظرت إليه بنظرة سلبية و انغلقت على ذاتها، ورفضت كل ما هو أجنبي بحكم أنه عدو لدود، وسببا في تخلفها و انحطاطها، وتشتتها، وتمزقها، فيقول الملك النعمان للأمير حمزة: "إني سررت جدا في هذا اليوم لأن كسرى غيّر مسواه مع العرب وعاملهم معاملة اللين والرقة والعطف و أبدى لك ما يرفع من قدرهم ويعلي شأنهم بخلاف الأول فإني كنت أحضر على الدوام في كل سنة إلى بين يدي كسرى فكنت أعامل بالإهانة والإذلال وعدم الاكتراث ليس فقط من كسرى بل من جميع قومه لاحتقارهم العرب وحطهم من شأنهم وما ذلك إلا إكراما لك وخوفا من تكدير خاطرك قال حمزة لابد أن تنقلب الأيام فتعامل الأعجام نفس المعاملة التي يعاملون بها العرب لأن الله سبحانه وتعالى يرضى على العرب لطاعتهم له ولا يقبل بأن يبقوا أذلاء عند عباد النيران"[2].

ومن بين هذه النصوص الشعبية سيرة الأمير حمزة العرب الملقب بحمزة البهلوان الذي جسد فيها قضية الأنا والآخر بشكل واضح ولم تخرج سيرة حمزة العرب عن هذا السياق المتعلق بالصراع مع الآخر. والذي يبدع من خلالها في تصوير أعماق الآخر النفسية المتمثلة في الملك كسرى وأعوانه من بداية المنام الذي رآه كسرى وتكرر في نومه إلى باقي الأحداث والمعارك والحروب التي دارت ما بين العرب والفرس في استعادة هوية

[1] - عبد الرزاق الداوي: في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات (حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة) ، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، ط1، 2003م، ص 95.

[2] - السيرة: الجزء الأول، ص83.

الأنا ورفعة الذات العربية في مقابل الآخر الغربي الفارسي.

الجدير بالذكر هنا أن الآخر هو كل من يختلف عن الأنا، أو الذات ثقافيا سياسيا فكريا.... وقد يكون هذا الآخر فردا، أو جماعة، أو شعبا كما قد يكون قريبا، أو بعيدا، صديقا أو عدوا، أو شقيقا. فالآخر إذن هو التكوين الثقافي والجغرافي، والإنساني عموما المغاير للغرب، والمسمى الشرق، فتجسد الأخر في حياة الأمير حمزة من خلال عدة شخصيات المحيطة به، والبداية كانت مع جماعته الأولية ألا وهي الأسرة متمثلة في والده وصديقه عمر العيار التي كانت لها الفضل في تكوينه النفسي والجسدي والفكري فيما يخص الهدف الذي ولد لتحقيقه واختياره من قبل ملك الفرس لتجنيده لوقت الحاجة إليه.

وفي السيرة نرى أن الآخر متنوعا ما بين الآخر الفارسي العدو والآخر العربي الذي يعارض العرب ويتبع أمور سيده كسرى ملك الفرس كالملك النعمان "قال عمر أعلم أن العجم كثير والعدد أكثر من العرب وكلهم يجتمعون إلى ملك واحد...والملك النعمان منقاد لأمر كسرى أنو شروان متفق معه على دينه فقال حمزة وما دين النعمان ملك العرب قال كان من عباد الله ولا يزال إنما يجاري الأعجام فيكرم النار ويقدم لها مزيد الاعتبار"[1]

وفي سيرة الأمير حمزة تظهر الأنا المتمثلة في البطل في صراع مستمر بين القبول والنفور، فالقبول متمثل في محاولة العيش في وسط الأخر والتفاعل معه مجبرا على ذلك من أجل الاستمرار في الحياة وتحقيق الهوية العربية، أما النفور يتمثل في التجرد من الوجود والذهاب الى الوحدة التي تحيط به أرضه التي لا يريد أن يتركها إلا في أوقات يكون مجبر على ذلك، فالأمير حمزة يتردد موقفه ما بين القبول والنفور، النفور في الانضمام لكسرى والاتفاق معه في محاربة أعدائه وما ذلك إلا رغبة في إثبات الهوية العربية القومية وإعلاء العرب على الفرس وقبوله لهذا الفعل على مضض حتى يتسنى له الانضمام، و أيضا قبوله لاختبارات الوزير بختك التي هدفها هو الخلاص من الأمير حمزة وقتل شوكة العرب ولكنه يقبل كل هذه الاختبارات ويفوز بها ويرتفع مقامه ومقام العرب بين الفرس.

تظهر السيرة إشكالية الصراع بين العرب والفرس المصنف ضمن قضية الأنا والآخر التي تكشف عن صعوبة التلاقي والتواصل الثقافي والاجتماعي والحضاري بين

[1] - السيرة: الجزء الأول، ص20

العرب المتمثل في حمزة والآخر وهو الفرس المتمثل في الملك كسرى وأعوانه؛ فالعلاقة بينهما من خلال النص السيري لم تخرج عن ظواهر الطغيان والهيمنة والاستبداد.

ونرى أن سيرة الأمير حمزة قضيتها المحورية هي التحرير الديني والقومي، والملاحم العربية تقف في نزعتها القومية موقف الدفاع عن الذات العربية ومقاومة الشعوبية[1]، ولكن سيرة حمزة العرب جعلت محاربة الشعوبية الفارسية قضيتها الأولى والأخيرة وهي قضية حضارية بالدرجة الأولى، فالشعوبية التي تقاومها هذه السيرة أخطر من تلك التي نراها في سائر الملاحم، لأنها هنا ذات أبعاد سياسية وحضارية وفكرية، أبعاد ثلاثة لقضية واحدة هي من أخطر قضايا الذات العربية العامة، "السيرة تعود في إبداعها للقرن الثالث الهجري.. والعرب في أوج شعورهم بفضل الإسلام عليهم، وبخاصة في دفاعهم المستميت أما الهجمات الشعوبية الضارية التي راحت تشكك في الإسلام نفسه..."[2]

فالهوية هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكوّنة شخصيته ومحددة معالمه بشكل ثابت، مما يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكون مسخا للآخرين، لهذا تعدّ شرطا ملازما للفرد، يؤثر في الجماعة، ويمنحها سمة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل "الأنا" عن "النحن"، وتقول ماجدة حمود: «إن أجدادنا لم يشعروا بالخوف على هويتهم، حين انفتحوا على ثقافة الآخر بدأ سؤال الهوية يؤرق الإنسان العربي نتيجة احتكاكه بالآخر، الذي سبقه حضاريا، وبدأ يهدّد وجوده حين زحف إلى الشرق مستعمرا. إذ إن المرء لا يدرك أهمية هويته، إلا في لحظة مأزومة، يواجه فيها المختلف. عندئذ يرتد إلى مكوناته الأصلية، التي تمنحه الإحساس بوجوده أي بتميزه واختلافه عن الآخر، فيحسّ بضرورة الحفاظ على هذه المكونات، مهما كانت التحديات إذ كلما احتدت المواجهة مع الغير زاد المرء تمسكا بمكونات هويته وخصوصيته. حتى تكاد تصبح «أناه» وهذه المكونات شيئا واحدا!"[3] لأن الهوية تحقق شعورا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة والتماهي بها، فتتبادل معها الاعتراف، وبذلك لا يمكن اختزالها في تعريف صاف

---

[1] - هي حركة فكرية تنطوي على استعلاء حضاري وجنسي وعنصري تدعو إلى الحط من شأن العرب وتحقير شأنهم في جميع المناحي القومية والحضارية والدينية، وبخاصة بعد أن ازدادت الدولة العباسية ضعفا باضطراد ضعف الخلفاء والعنصر العربي معا.

[2] - قراءة في سيرة حمزة العرب او ملحمة الصراع بين العرب والفرس في التراث الشعبي العربي، محمد رجب النجار، مجلة التراث الشعبي، مج14، ع5-6، 1983م، ص19.

[3] -إشكالية الأنا والآخر: نماذج روائية عربية، ماجدة حمود، عالم المعرفة، مارس 2013م، ص 13.

وبسيط.[1]

إن المشكلة دائما في قبول الآخر كما يقول المفكر إدوارد سعيد، فتنتج الأنا أفعالا وسلوكيات خاصة بها تتسم بهوية معينة معبرة عنها، وتتنوع علاقات الهوية ولكنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة واللغة والانتماء والمجتمع بعاداته وتقاليده والبيئة، والتاريخ بماضيه وشموليته[2]، لذلك تنوعت الهوية إلى سالبة وموجبة و انقسمت هوية الأنا إلى هوية الأنا الايدلوجية التي تعنى بالدين والسياسة والمهنة وأساليب الحياة المختلفة، وهوية الأنا الاجتماعية التي تعني بالصداقة والجنس والمتعة بالوقت والعلاقة بالجنس الاخر[3]، وهذا أدى إلى اكتشاف جو انب مختلفة من شخصية الأنا (الأمير حمزة العرب) فنرى الشخصية العاطفية الانفعالية التي تعني بالصداقة والحب والزواج والشخصية القوية الغيورة على دينها وهويتها وتهتم بالسياسة والحرب وأساليبها وتهدف للتوصل إلى غايتها الأسمى في الحياة ونوضح هوية الأنا وشخصيتها من خلال السيرة في:

الشخصية العاطفية الانفعالية:

يعني البحث بهذه السمة ضعف قدرة الشخصية على تحقيق تماسكها عند تعرضها لموقف صعب ولا سيما إذا كان يتعلق بالفقد. وقد برزت هذه السمة لدى حمزة العرب بصورة مفرطة بعد أن طرد "مهردكار" إثر مقتل ابنهما "قباط" وحلف بأن تعود إلى أهلها، فبعد تركها إياه لم يعد لديه رغبة في محاربة الفرس، فسلم لهم العلم "بيكار الاشتهار" وهو رمز مهم من رموز السيرة، وتركته الجيوش والفرسان الذين انضموا تحت رايته أثناء مسيرته "سادات العرب اجتمعوا بالأمير وجعلوا يتعطفون إليه أن لا يرسل علم بيكار الاشتهار إلى كسرى أنو شروان وأخبروه أنه إذا أرسله إليه تفرقوا عنه فقال لهم إن الذي يرغب في الذهاب إلى بلاده فلا يتأخر فإني لا اتكدر لفراق أحد ولا أريد صحبة أحد، وما عدت أنظر إلى الحياة المرتجي الراغب فيها و إني لا أرى في تجمعهم من

---

[1] -المرجع السابق، ص 16.

[2] - انظر: عدلان رويدي. (2014م) الرواية وحوار الأنساق الثقافية، قراءة في رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس لواسيني الاعرج. مجلة المخبر. أبحاث في اللغة والأدب الجزائري. العدد)10(. الجزائر، جامعة بسكرة، ص419.

[3] - انظر: حسين عبد الفتاح الغامدي. (2001م) علاقة تشكل هوية الأنا بنمو التفكير الاخلاقي لدى عينة من الذكور في مرحلة المراهقة والشباب بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية. المجلة المصرية للدراسات النفسية. العدد (29)، ص 222،223.

فائدة ولابد لي من إرسال العلم فأرسله يا عمر في الحال وإذا تأخرت أوفعت بك وكان سبب التأخير عليك وبالا"[1]، وبعد أن عرف بمقتل "مهردكار" على يد فرسان بختك وزير كسرى بقي شهورًا يبكي أمام قبرها "وبكى عليها أكثر بكاء من رجل على زوجته وصرف الأمير يومين وهو لا يفارق ذاك المكان... قال الأمير حمزة لقد أصبت فادفنوها في التراب و ابن لي عند قبرها مزارا وقبة فقد عزمن أن أبقى العمر أبكي على قبرها إلى أن أموت وأدفن في التراب إلى جنبها وما من أمل لي في الحياة بعدها"[2]

والسيرة توظف هذه العاطفة الداخلية تجاه تحقيق أهداف منها الدفاع عن العروبة، وهذا ما أفسح المجال لبختك لينتقم منه، فبعث إليه العيار "قرقدان" الذي تمكن من أسره وإحضاره إلى المدائن حيث انتقم منه وصلبه، ولم ينج حمزة من الموت إلا بعد أن جمع "عمر العيار" الفرسان من جديد و أقاموا حربًا مع الفرس تمكن فيها "بديع الزمان" من إنقاذ أبيه "وكان فكر بديع الزمان لا يرتاح ما لم ينزل أباه عن المصلب وبعد أن بدد الأعجام الذين كانوا قد ازدحموا عند القائمتين الثانيتين اللتين كان المصلب باقيا عليهما فقرب من إحداهما وصاح بعبد الله مهرين ورجاله ويلكم خذوا أبي وتلقوه بأيديكم فلا تزعجوه ولا تتعبوه ...ورمى بديع الزمان بنفسه عليه وقبل في الحال إحدى يديه فشعر بها كأنها الثلج فتأكد عنده موته"[3]

لقد جاء موقف حمزة هذا الذي جعله يقع في أيدي أعدائه بعد إظهار مهردكار عتبها أمامه بعد مقتل ابنها، الذي نصب ملكًا لدولة العرب، وكان من الطبيعي أن تؤنب مهردكار زوجها، غير أن حمزة اتخذ موقفا حازمًا لا عودة فيه. ويبدو أن حمزة لم يستطع تجاوز الكلام الذي صدر منه لحظة الانفعال: شعر بالرغم عن قساوته بعظم عمله وظلمه لها فأكمد قلبه وزهد في الحياة وكره الدنيا ومال قلبه إلى مسالمة كسرى.

صور الراوي شخصية حمزة بوعي خالص لسمة الانفعالية والعاطفية حتى أنه أشار بصورة مباشرة إلى ذلك في أكثر من موضع: "كان الأمير حمزة كثير الحمق سريع الغضب". ولعل هذا النقد المباشر من الراوي ما سيجعل السيرة تميل نحو إبراز شخصية أخرى تتفوق نسبيًا على حمزة كشخصية ابنه بديع الزمان.

لقد قربت سمة العاطفية والانفعالية شخصية البطل من الفطرة الإنسانية

---

[1] - السيرة: الجزء الثالث، ص 113.

[2] - السيرة: الجزء الثالث، ص 123.

[3] - السيرة: الجزء الثالث، ص 161.

البعيدة عن التعقيد، فهي أقرب ما تكون إلى الطفولية، غير أن شخصية البطل هنا ترتبط بالموقف الانفعالي فيترتب عليه السلوك، أي أن الكلمة التي تصدر في لحظة الانفعال لا يمكن الرجوع عنها، وإن كانت توقع الشخصية في مآزق عديدة. ولعل الارتباط بالكلمة نابع من طبيعة الثقافة الشفاهية، إذ يتحول الكلام إلى وثيقة يلتزم القائل بها.

عرفت الثقافة العربية بالتسامح مع الأمم الأخرى حتى أعدائها، وقد تبدت هذه السمة في السيرة الشعبية بوضوح، فقد صفح حمزة عن كسرى بعد أن تم له الانتصار وثبته في حكم بلاد الفرس في مقابل ذلك الحقد الذي أبداه بتأثير من "بختك"، إذ صلبه حتى شارف على الموت. ولعل في موقف حمزة من "زوبين الغدار" ما يبين سمة التسامح بوضوح، فقد حاول "زوبين" قتل حمزة مرتين وشارف على الموت، غير أن "زوبين" و"أفلنطوش" عندما هزما في معركة أمام العرب قررا التآمر عليهم فأظهرا أنهما دخلا في دين الله وقبلهما حمزة في معسكره، بعد أن سمّى "زوبين" اسمًا جديدًا هو "عبد الله بن زوبين"[1]

لقد استنكر رفاق حمزة هذا السلوك منه ولما سمع الفرسان كلام الأمير وعفوه عن زوبين داربينهم الحديث وتقمقموا من عمله وما هان عليهم بقاء زوبين حيا... تعجب الجميع من صفاء باطن الأمير وحلمه وحسن طويته وعدله وحبه لله واعتقاده واعتباره لإرادته[2]" وعلى الرغم من تسامح حمزة لزوبين إلا أنه اغتنم فرصة غياب حمزة هو و أفلنطوش و انقضا على معسكر العرب بمن معهم من جنود ليلا، وسبيا الفارسيات من نساء العرب "مهردكار" و"طوربان" و أبناءهما محضرين إياهم إلى المدائن، وقد حكم عليهم بالقتل هناك، وكاد أن ينفذ الحكم لولا الحيلة التي تمكن فيها "عمر العيار" من إنقاذهم.

لم تكن هذه السمة في شخصية حمزة خافية على أعدائه، فهم يعلمون طباعه ويعرفون كيف يستغلونها، وهذا ما دعا "زوبين" إلى إقناع "أفلنطوش" بالذهاب إلى حمزة ليحتال عليه: "ومن العجيب أن حمزة الذي يحسب في هذه الأيام من أعظم العالم بسالة و إقداما وأشدهم مجدا وفخرا بسيط القلب يصدق كل ما يسمع ولا يظن الشر بأحد وهذا يساعدنا على نوال المراد، وأرى من الضرورة ان تكون أنت معي بينهم

[1] - السيرة: الجزء الثاني، ص172

[2] - السيرة: الجزء الثاني، ص 171-172

فيسهل علينا كل ما نريد ونوقع بهم ونقتل الأمراء والأكابر"[1]

والناظر إلى سيرة حمزة العرب لن يبالغ إذا قال إن السيرة هي قصة تسامح، بحيث يتحول هذا التسامح إلى إشكالية، لا سيما أنه يأتي في غير مكانه أحيانا، فإن كان يؤدي إلى انضواء فرسان جدد تحت لواء جيش العرب، إذ يعفو حمزة عن مقاتليه، إلا أن ذلك يؤدي إلى إطالة القتال مع العدو الذي لا يقدر تسامح الجهة المقابلة، فيحاول استغلال هذه السمة لصالحه، فالتسامح مع الآخرين خاصة العدو مقصد مهم جدا من مقاصد السيرة نفسها.

الشخصية القيادية القوية:

تتسم الشخصية النموذجية للقيادة في إطار ثقافة معينة بعدة صفات منها الإقدام على القيام بأفعال دالة على الشخصية، ولعل في تلك التحديات التي وضعها "بختك" أمام حمزة في محاولة للتخلص منه أو ثنيه عن طلب مهر دكار للزواج ما يعبر عن هذه القيم بوضوح، وتمثل أول تحد وضعه "بختك" أمام حمزة في مواجهة الأسد، وقد تمكن حمزة من صراعه أمام إيوان كسرى في إشارة إلى شجاعته وقوته ولإقدامه في سبيل تحقيق هدفه[2]، ويبدو الأسد هنا أيقونة تشير إلى القوة والافتراس، ومواجهة حمزة له لا تخفي خلفها أي تردد في القيام بهذا الفعل، بل تشير إلى قيمة بحد ذاتها، فشجاعته تعدت الحيوانات المفترسة إلى درجة مصارعتها.

وإذا كانت قيمة الشجاعة مطلقة في تعبيرها عن الإقدام، فإن قيمة الفروسية تتطلب قدراً من الاحتراز، وقد عبرت حيلة "بختك" الثانية عن تحقق سمة الفروسية في حمزة، فقد تحدى بختك حمزة في أن يروض جوادًا لم يستطع أحد من الفرسان ترويضه، لكن حمزة استطاع أن يروضه دون جهد يذكر: "أخذ اللجام وأدخله في فمه دون أن يبدي منه أقل حركة أو ممانعة كأنه عرف أن هذا الفارس هو فارسه الذي يستحق أن يركبه"[3]

يعبر قبول الحصان لحمزة عن تمثله لسمات الفروسية التي تتضمن الشجاعة والقوة والتمكن من فنون القتال، لكنها في الوقت نفسه تفرض أخلاقا معينة ملزمة

---

[1] - السيرة: الجزء الأول، ص 173

[2] - انظر السيرة: الجزء الأول، ص 92

[3] - انظر السيرة: الجزء الأول، ص105

للفارس قد تقود إلى الإحجام عن بعض الأفعال، فالأمير سعد اليوناني الذي طاوع أمه طوربان في الذهاب لقتال هارون البطل المجنون خارجا عن طوع حمزة استفز هارونا من خلال ذبح إحدى خراف قطيعه وقتل رعاة القطيع، وعندما عرف هارون بفعله قاتله وجرحه في حين استسلمت طوربان، أما حمزة فلم يقدم على قتل الرعاة واكتفى بذبح خروف، وحين تقاتل مع هارون لم يهزم[1].

إن سلوك حمزة وإن كان يعبر عن إقدامه وشجاعته فإنه أيضًا يعبر عن إحساسه بالمسؤولية الذي قاده إلى عدم التهور كما هو الحال لدى سعد اليوناني، وهذا هو معنى الفروسية، فالإقدام والشجاعة يرتبطان بحس المسؤولية الناجمة عن اختزان أكبر قدر من قيم الإحجام. وتبدو قيم الشجاعة والفروسية الزاد الأساسي الذي يمكن أن يتزود به القائد لتحقيق المبتغى الذي يسعى إليه، وهذا ما تمثلت به باقي المهمات التي وضعت أمام حمزة العرب ورفاقه الفرسان، لكن هناك قيمة جوهرية تعبر عن ذلك الملمح الانفعالي العاطفي تحث حمزة دائما على خوض المعارك والحروب، وهي قيمة النخوة العربية ورغبته في تحقيق الهوية القومية.

فالنخوة قيمة تتعلق بالإقدام دومًا، وهي حافز أساسي تتحقق من خلاله كثير من أحداث السيرة، وغالبا ما تكون عند استنجاد طرف يحتاج إلى المساعدة بطرف آخر قوي. وقد توفرت هذه السمة في حمزة العرب و أبنائه بوضوح: "سمع الأمير حمزة هذا الكلام اشتد به الغيظ والحنق ولعبت برأسه النخوة العربية، فقال وحق البيت والصفا لا بد لي من المسير إلى الخيبري وذبحه ذبح الأغنام وتشتيت عساكره ولو كانوا بعدد الرمال"[2]

لقد كانت النخوة المحفز الأساسي الذي دفع حمزة إلى إقامة علاقته بكسرى الذي استنجد به، فكان طرده لخارتين نابعًا من هذه السمة. وإن كانت نخوة حمزة قد حركته لنجدة كسرى، فإن حمية أبنائه الذين ابتعد عنهم لظروف تتعلق بترحاله الدائم، دفعتهم للالتحاق به بمجرد اشتداد عودهم ومعرفتهم بأن حمزة أبوهم: "فلما سمع بديع الزمان بما أبداه الصياد شعر أن مرارته قد انفطرت وصاح من ملء رأسه هل أنا مقيم بين أعدائي... ثم ذرف الدموع من عينيه وتحرك في أحشائه الدم العربي

(1) - انظر السيرة: الجزء الثالث، ص 62-63.

(2) - السيرة: الجزء الأول، ص 58

والحب الوالدي"[1] تبدو رابطة الدم هنا حافزًا أساسيًا يقود للإقدام على الفعل، فبديع الزمان الذي تربى عند أعداء أبيه تنكر لكل ماضيه بمجرد أن عرف أصله العربي وارتباطه بحمزة العرب، فأقدم على إنقاذ أبيه من المصلب الذي وضع لقتله.

وعلى الرغم من تحلي عمر العيار بهذه السمات إلا أن منظومة القيم تبدو رخوة لديه، فالحيلة هي أساس تعامله مع الأعداء على خلاف الفرسان الذين لا يلجؤون إلى الحيلة، وهذا ما هيأ عمر لأن يكون حامي العرب، وجعلهم يفدونه بأرواحهم، غير أن في ذلك إشارات عميقة، فأخلاق الفرسان القادة تختلف عن أخلاق العيارين من العبيد، وقد كان من الممكن أن يتمتع حمزة بسمات عمر العيار، إذ سيزيد ذلك من قدراته ودوره في حماية قومه، لكن ذلك سيؤثر على صورة القائد الفارس، أي أنه سيخل بالقيم التي يلتزم بها حمزة، كما أن في ذلك معاني رمزية تصب في الإخلال بهذه القيم، فلو أخذنا مثلا قدرة عمر العيار على تغيير شكله و انتحاله أي شخصية أخرى من خلال المكحلة، لوجدنا أن هذه القدرة فيما لو اختصت بحمزة لأفقدته تلك الثبوتية في شخصيته، ولو من الناحية الرمزية على الأقل. وتسهم قيم الإقدام بصورة كبيرة في رسم ملامح الشخصية القومية، فهي تبين التضاريس الثقافية التي تستند إليها الهوية، وهذا ما سيجعلها متمثلة بصورة أكبر في النماذج العليا القيادية القادرة على امتلاك الجماعة والتأثير فيها، حيث يمكن أن يتراخى الالتزام بهذه القيم كلما قلت المنزلة الاجتماعية، بل إن تحقيق المنزلة الاجتماعية يتحقق من خلال الالتزام بهذه القيم.

لقد تدنت منزلة الأمير قاسم بين العرب على الرغم من كونه حفيد حمزة من ابنه "رستم" صاحب الشأن لديه، فقد حاول قتل بديع الزمان مرات عديدة، وحاول التخلص من ابنه الذي أحب ابنته، إذ طلب مهرا صعب المنال لابنته، وعندما أعطاه حمزة المهر الذي طلبه استلمه "ضائع الفكر ساهم الطرف باهت اللون.. لا يعي لشدة مقته وكرهه لبديع الزمان الناتج عن كبريائه[2]" لقد عبر الراوي عن اختلال موازين القيم لدى الأمير قاسم فما يستحق الإقدام يحجم مما جعل مكانته حقيرة بين الخاص والعام، وعلى الرغم من هذا التدني في مستوى التزام الأمير قاسم بالقيم إلا أننا نجد قدرًا كبيرًا من التهاون معه في أفعاله، فعلى الرغم من اعتداءاته العديدة على بديع الزمان لم يتخذ حمزة العرب إجراء واضحًا بحقه، بل ترك بديع الزمان يغادر معسكر

[1] - السيرة: الجزء الثالث، ص 179

[2] - السيرة: الجزء الرابع، ص 225

العرب بعد إقدام قاسم على قتله ودفاع بديع الزمان عن نفسه، إذ دافع حمزة عن قاسم: "فتكدر الأمير من كلام بديع لما علم أنه يقول الجد، وقال له إن قاسما مثلك عندي وأشفق عليه أكثر منك وأرغب فيه إكراما لأبيه، فإذا أردت أن تبقى بيننا فأهلاً وسهلاً بك، وإلا فارحل[1]".

الخاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية نرى أن سيرة الأمير حمزة قضيتها المحورية هي التحرير الديني والقومي، والملاحم العربية تقف في نزعتها القومية موقف الدفاع عن الذات العربية ومقاومة الشعوبية، ولكن سيرة حمزة العرب جعلت محاربة الشعوبية الفارسية قضيتها الأولى والأخيرة وهي قضية حضارية بالدرجة الأولى، فالشعوبية التي تقاومها هذه السيرة أخطر من تلك التي نراها في سائر الملاحم، لأنها هنا ذات أبعاد سياسية وحضارية وفكرية، أبعاد ثلاثة لقضية واحدة هي من أخطر قضايا الذات العربية العامة.

تظهر السيرة إشكالية الصراع بين العرب والفرس المصنف ضمن قضية الأنا والآخر التي تكشف عن صعوبة التلاقي والتواصل الثقافي والاجتماعي والحضاري بين العرب المتمثل في حمزة والآخر وهو الفرس المتمثل في الملك كسرى وأعوانه؛ فالعلاقة بينهما من خلال النص السيري لم تخرج عن ظواهر الطغيان والهيمنة والاستبداد.

ثنائية الأنا والآخر ثنائية ارتكازية في السير الشعبية عموما، فلا تعرف الأنا بمعزل عن الآخر ولا توجد الأنا إلا من خلال اعترافه بأهمية الآخر، فالمشكلة دائما في قبول الآخر، والسيرة الشعبية نص ثقافي رمزي بالغ الأهمية في معرفة الثقافة القومية المشتركة وقيمها وعاداتها، وشخصيات السيرة أوعية للرؤى الإبداعية وهي مجموعة من الإشارات والرموز أيضا.

انتشار السيرة الشعبية، كان له دوافع رئيسة تتلخص في مواجهة الأجنبي الدخيل على الأراضي العربية، والبحث عن نموذج للبطل المخلص الذي تمثّلوه في عنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن ومن ثم ذات الهمة والهلاليين والظاهر بيبرس وحمزة العرب وفيروز شاه وغيرهم من الأبطال المعروفين في التاريخ العربي.

[1] - السيرة: الجزء الثالث، ص 396.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم، الأنواع الوظائف النيات، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر،2008م.
- إبراهيم فتحي: النقد الثقافي-نظرة خاصة-، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع 63، شتاء-ربيع 2004: 128.
- إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر، عمان، ط1، 2003م.
- أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر. إشراف: أ.د. جابر أحمد عصفور.. الإصدار ط1دمشق- سوريا: دار الزمان للطباعة، 2009م.
- آمنة بلعلى، تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002 م.
- جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، نشر شبكة ألوكة، المغرب، 2004م.
- حسين عبد الفتاح الغامدي. (2001م) علاقة تشكل هوية الأنا بنمو التفكير الاخلاقي لدى عينة من الذكورفي مرحلة المراهقة والشباب بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية. المجلة المصرية للدراسات النفسية. العدد (29).
- طارق لبيب وآخرون: صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م.
- عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مادة آخر، المؤسسة العربية، مصر، ج1، ط1، 1981م.
- عبد الرزاق الداوي: في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات (حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة)، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، ط1، 2003م.
- عدلان رويدي. (2014م) الرواية وحوار الأنساق الثقافية، قراءة في رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس لواسيني الاعرج. مجلة المخبر. أبحاث في

اللغة والأدب الجزائري. العدد)10(. الجزائر، جامعة بسكرة.

- قراءة في سيرة حمزة العرب او ملحمة الصراع بين العرب والفرس في التراث الشعبي العربي، محمد رجب النجار، مجلة التراث الشعبي، مج14، ع5-6، 1983م.
- قصة الأمير حمزة البلهوان: الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الدراسات الشعبية، القاهرة، 2010م.
- ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر: نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، مارس 2013م.